تقييم ونقد النظرية التفسيرية عند محمد عابد الجابري
بناءً على معايير الكفاءة النصية

الدكتور السيد محمد حسين ميرى[1]
الدكتور عليرضا عظيمى فر[2]
الأستاذة مريم الشحيطاوي[3]

الملخص
إن أغلب المفسرين لهم نظريتهم الخاصة في تفسيرالقرآن الكريم والتي لها كفاءة معينة في تحقيق أهداف المفسر. كما إن معرفة معايير كفاءة النظرية التفسيرية، تحتاج بالإضافة إلى تقديم معايير الكفاءة إلى توفير استراتيجيات مناسبة لتحديد تفعيل هذه المعايير وتحقيق أهداف التفسير حسب المعايير وبصورة صحيحة. ومن المفسرين المعاصرين الذين دونوا كتب تفسيرهم على أساس ترتيب نزول سور القرآن الكريم كما وله نظرية تفسيرية خاصة هو محمد عابد الجابري. إتبع البحث الحالي المنهج التحليلي بهدف الإجابة على السؤال التالي: كيف هي نظرية محمد عابد الجابري التفسيرية بناءً على معايير الكفاءة النصية؟
دراسة مكونات: 1.الإنسجام وعدم التناقض الداخلي (التعبير عن الأهداف المتجانسة والمستمرة، تجانس واستمرارية السور وعدم التناقض في المعارف القرآنية)، 2. النظرة الشمولية (النظرة الشمولية وعالمية القرآن الكريم والنظرة الشمولية وعمومية القرآن الكريم) و 3. إن اختلاف المستويات الدلالية تدل على أن الجابري إعتبر التجانس والإستمرارية وعدم التناقض والتضارب من أساسيات النص الوحياني. كما قام باثبات ذلك عن طريق الإستناد إلى إستدلالات وحجج متعددة واعتبر الإهتمام بالنظرة الشمولية في النص القرآني بمثابة استجابة هذا النص الإلهي لحاجات الأفراد والمجتمع وحداثته وسر خلوده وعالميته وهو مستمد من تطلع هذا النص الإلهي إلى المستقبل. توصلنا فى هذا البحث إلى أن الجابري لا يبين المستويات والجوانب المختلفة لمعاني النص القرآني بالمعنى المصطلح عليه عند مفسري الشيعة وإنه يؤمن بالتفسير حسب الواقع وظاهرالآية وما كان شائعاً عند العرب زمن نزول القرآن الكريم.

الكلمات الرئيسية: نقد النظرية التفسيرية، كفاءة النظريات التفسيرية، المعايير النصية، الإتجاه النصي، محمد عابد الجابري.

1.تبيين الموضوع

محمد عابد الجابري، مفكر مغربي مبتكر في مجال الدراسات الإسلامية وله نزعة خاصة في مجال تفسير القرآن الكريم. تتجه آرائه وأفكاره إلى إحياء فكر المعتزلة. لقد قام الجابري بتبيين أسس نظامه التفسيري في مقدمة كتاب تفسيره بعنوان «مدخل الى القرآن الكريم فى التعريف بالقرآن» وكتاب تفسيره الآخر "فهم القرآن الحكيم". من جهة أخرى، لا بد لكل مفسر أن يؤسس نظامه التفسيري على شكل "نظرية تفسيرية"

[1].استاذ مساعد في جامعة الزراعة والمنابع الطبيعية في خوزستان(الباحث المسؤول). البريد الاكترونى: miri@asnrukh.ac.ir

[2].استاذ فى الجامعة والحوزة العلمية، المستوى الرابع في مركز السيدة الزهراء(س) التخصصي في أهواز.البريد الإلكتروني: azimifar7@gmail.com

[3].استاذة في الجامعة والحوزة العلمية وطالبة في المستوى الرابع من الدراسات الحوزوية.البريد الكتروني: mr.sh.06136524083@gmail.com

بما يتناسب مع قدرته العلمية والتخصصية. وبحسب تعريف "النظرية التفسيرية" فهي مجموعة من آليات اكتساب المعنى الدلالي .(دهخدا،1362 ،ص 371). إن فعالية النظرية هو أمر نسبي. لأن وصف الديناميكيات سيؤدي إلى ديمومة النظرية على المدى الطويل نسبيًا وكما يحسن من تأثيرها الكمي والنوعي ويساعد المفسر على إيجاد نظام فكري معين بالإضافة إلى إطار النظرية التفسيرية المحددة. (احمدى بيغش، ١٤٠٠ ،ص120) لقد تم تنظيم البحث الحالي بهدف الإجابة على السؤال التالي: كيف هي نظرية محمد عابد الجابري التفسيرية بناءً على معايير الكفاءة النصية؟

2. خلفية البحث

لقد أجريت أبحاث حول آراء وأفكار محمد عابد الجابري. على سبيل المثال، نذكر بع هذه المقالات بعنوان «شيوه‌هاى تاريخ پژوهشى محمد عابد الجابرى» (نوري ،١٣٨٩، ص128-148) و«قصه‌هاى قرآن در نگاه محمد عابد الجابرى» (مهدوي راد،١٣٩١،ص 73-100).إلضا أنه لم تتم أبحاث تذكر حول النظرية التفسيرية عند محمد عابد الجابري. يتم استخدام الجدول التالي للنظر في الجهود السابقة في هذا المجال البحثي:

الترتيب	الكاتب	عنوان البحث	النتايج
1	محمد بهرامى التاريخ: 1389	تفسير «فهم القرآن الحكيم » في نظرة خاطفة	تم ذكر المنهج التفسيري والبنية التفسيرية عند محمد عابد الجابري بصورة موجزة .وكما لاحظنا أن أحداً من الباحثين لم يتطرق إلى البحث في النظرية التفسيرية على أساس معايير الكفاءة..
2	عبدالهادى فقهى زاده ومحمدهادى امين ناجى محمد تقى قادرى رهقى التاريخ:1397	أصول تفسير محمد عابد الجابرى في «مدخل الى القرآن الكريم»و «فهم القرآن الحكيم؛التفسير الواضح حسب ترتيب النزول»	في هذا المقال تم عرض أهم الأسس التفسيرية عند محمد عابد الجابري، مثل إمكانية صحة روايات مختلفة أو متناقضة تتعلق بحادثة، وعدم تناقض العقل مع الحقائق الدينية، وفساد تفسير باطن الآيات، ووجود ثوابت ومتغيرات في الكتب المقدسة، تواجد الدين في متناول العقل، ضرورة الاستدلالات الإشكالية والاستخدام الجدلي للقصص القرآنية.
3	خديجه احمدى بيغش التاريخ:1400	تقييم النظريه التفسيرية في منهج الإعتماد على المؤلف على أساس معايير الكفاءة	تم تقييم نظريات العلامة الطباطبائي التفسيرية من حيث فعاليتها في منهج الإعتماد على المؤلف من خلال المنهج الوصفي والتحليلي..
4	خديجه احمدى بيغش التاريخ:1400	تقييم المناهج المعاصرة في تفسير القرآن الكريم على أساس نظرية الكفاءة	لقد تم التحقيق في المعايير التي تجعل النظرية التفسيرية فعالة.

ولأول مرة قام البحث الحالي بتقييم وتحليل النظرية التفسيرية بناء على معايير الكفاءة النصية في النظريات التفسيرية لمحمد عابد الجابري. لذلك نظرًا لعدم وجود خلفية لهذا الموضوع في مجال التفسير، فإنه يعتبر موضوعي ونظري تمامًا.

3.نظرية الكفاءة التفسيرية

إن النظرية في المعنى اللغوي تعني الرأي والفكر والنظر إلى شيء ما في العقل بشكل مجرد، حيث يكون هذا الفكر بعيدا عن متناول التصورات العادية(دهخدا،١٣٧٢،ص127)، وفي الاصطلاح تعني النظرية مجموعة منهجية من الأفكار التي أصبحت شائعة ووجدت أنصارا ومتابعين. إن النظرية العلمية هي أكثر أنواع المعلومات العلمية موثوقية ودقة وشمولاً.(المرجع نفسه، ص121).

وأما الكفاءة فتعني في اللغة الفعالية والكفاية والفائدة (المرجع نفسه،ج١،ص89) بمعنى تحقيق الموضوع مع القدرة المنهجية على تحقيق الوظائف الأساسية للنظرية أو مدرسة ما لملاحظتها بشكل موضوعي.(المرجع نفسه، ص122) الكفاءة أمر نسبي يختلف باختلاف الأهداف والمرافق والمعوقات المحددة لكل ظاهرة. فالكفاءة الكلية تساوي المجموع الجبري لكفاءات المراحل المختلفة والكفاءة مع عدم كفاءة عنصر من عناصر الظاهرة المركبة هي المجموع الكلي(افشاري راد،١٣٨٩، ص446). والكفاءة تعني التركيز على الربح والمنفعة والفائدة القصوى في مختلف الأمور بما في ذلك المنهج التفسيري حيث تؤدي إلى كفاءة الآراء وثباتها.(احمدي بيغش،١٤٠٠، ص122).

يعد المجال التفسيري أحد مكونات النظرية التفسيرية التي لم تحظى باهتمام كبير في الدراسات التفسيرية. على كل مفسر أن يحدد نظامه التفسيري الخاص قبل البدء بعملية التفسير وأن يتبع النظام المحدد له في عملية التفسير التي يقوم بها. من الواضح أن وجهة نظر المفسر حول نطاق التفسير لها تأثير على نوعية وكمية عمله. لأنه هناك فرق شاسع بين من ينقل معنى الكلمات فحسب وبين ذلك المفسر الذي يتناول بالإضافة إلى البحث الدلالي موضوعات أخرى مثل القراءات والإعراب وأسباب النزول، وتناسب الآيات ومقاصد السور والرسائل الفقهية والعقائدية والتاريخية و يقوم بالنقد ودراسة آراء المفسرين الآخرين. كما يجب أن تكون حدود التفسير واضحة بالنسبة للمفسر ولا يشتبه بها مع مواضيع أخرى كالترجمة والتأويل والجري والتطبيق لأنه في بعض الأحيان يخطئ المفسر في آراء الآخرين بسبب عدم مهارته في معرفة هذه الحدود ويقوم باستخدام الروايات التأويلية والتطبيقية بدلا من الروايات التفسيرية أو العكس.

4.الجابري والإتجاه النصي

إن معرفة معايير كفاءة النظرية التفسيرية، تحتاج بالإضافة إلى تقديم معايير الكفاءة إلى توفير استراتيجيات مناسبة لتحديد تفعيل هذه المعايير وتحقيق أهداف التفسير حسب المعايير وبصورة صحيحة. التقييم والنقد هو قياس المصداقية العلمية للعمل وهو كغيره من المجالات العلمية له مبادئه الخاصة. يعد التقييم والنقد أحد أساليب الشرح الفعالة لقياس جودة النص مما يساعد على التطور العلمي.(زرين كوب، ١٣٧٤،ص22). تعتبر الديناميكية والفعالية من السمات البارزة للتقييم والنقد والتي تحتاج إلى تمهيد الطريق لعرض الأفكار المتفوقة في جو سليم.(ابوجعفر احمدبن على،١٣٦٦، ص22656).ولذلك فإن التقييم والنقد ليسا حكما سلبيا. بل يشمل التقييم والنقد الجوانب الإيجابية والجوانب السلبية كلاهما معا. وبحسب المؤلف، إذا أراد شيء مثل التقييم والنقد أن يتم بشكل بناء، فيجب أن يشمل هذين البعدين الإيجابي والسلبي معا. (باقر ساروخاني، ١٣٧٣،ص34). وبعد بيان قصد المؤلف من مصطلح التقييم والنقد، فسيتم تقييم ونقد معايير الكفاءة النصية في النظرية التفسيرية لمحمد عابد الجابري في شرح كتابه "فهم القرآن الحكيم" وهو كتاب تفسير يستند إلى ترتيب نزول السور.

ومن الضروري تبيين أن هذا التقييم والنقد هو تقييم ونقد عام وهيكلي ومنهجي وليس تقييماً ونقداً تحليلياً. أي أننا نحاول تبيين النظريات التفسيرية لمحمد عابد الجابري في المنهج النصى _الذي يعتبر المعنى قائما بالنص ويعتبر النص نفسه قائما حسب الجو والتطورات فى زمن نزول القرآن الكريم_ وهل يعتمد على معايير الكفاءة؟

إن الجابري يعرف فهم القرآن الكريم وتفسيره على أن فهم القرآن ليس مجرد النظر إلى نص مليء بالتفاسير المكتوبة والتآويل المهمشة، بل فهم القرآن يعني كذلك فصله عن هوامشه. ليس لأن تلك التفاسير والهوامش لا قيمة لها ويجب التخلص منها ولكن لأنها تنتمي إلى زمنها ومكانها الخاص وأما الآن فيجب ترك ما مضى ومحاولة الاتصال فيما بيننا وبين القرآن الكريم حسب عصرنا وبما أن هذا النص هو نص أبدي وأصيل، فيجب توفير الأسس اللازمة لفهم مضمونه الكريم. كما يقول الجابري، عندما اتحدث عن صحة النص لا اقصد النص المنزل على قلب الرسول، لأن هذا النص له صحة كاملة لا يمكن إنكارها في المصحف الذي بين يدينا ، بل إننا نقصد بالأصالة هنا وعلى مستوى الفهم هو نفس النص المجرد لجميع أنواع الفهم والتأويل التي ورد في كتب التفسير على اختلاف مناهجها واتجاهاتها. إن المسألة تتعلق أساساً بالإبتعاد عن الأيديولوجية لأنواع الفهم التي ذكرناها(محمدعابد الجابري، ١٣٩٩،ص18 19).، يدل هذا الرأي على إهتمام الجابري الخاص بالنص والمعايير النصية.

إن المعايير المبنية على النص هي أساس العديد من القضايا المهمة في النظرية التفسيرية بحيث يمكن الوصول إلى قصد المؤلف من خلال التمعن والدقة في النص الذي يدونه. لأنه ليس من المعقول أن المؤلف بصفته مسؤول خلق العلاقة والذي يهدف إلى التعبير عن النية وإيصال الرسالة إلى الجمهور، قد قصد معاني غير محددة ومكررة ومائعة بدلا من ايصال الرسالة والمعنى المحدد.

وعلى هذا الأساس، فإن القارئ والمفسر مسؤولان فقط عن تحقيق وظهور "معنى النص". أي أنهما يجعلان المعنى أو المعاني الخفية والمحتملة في النص حقيقية وفعلية في عملية القراءة دون أن يكون لهما دور في خلق المعنى والمضمون. لأن المفسر ليس "خالقا ومبدعا للمعنى". و"المعنى" موجود في الكلمات المكتوبة فى النص.(Crosman.Do Readers ,p144).

النقطة الأساسية في التعبير عن معايير الكفاءة النصية هي أن غاية النص هي جعل القارئ لوحده أوالقارئ والمفسر متساويان مع المؤلف. ولذلك فإن نية المؤلف لا تساهم في تكوين تخمين المعنى الخاص به بل يجب أن يؤخذ النص بعين الاعتبار بسبب تضمينه استراتيجية تفسيرية. لأن العوامل المساهمة في اكتشاف المعنى الجدي للمؤلف، بطبيعة الحال، قد تم ادخالها في سياق النص وفي عملية تحقيق المعنى المقصود يمكن أن تلعب دورًا بطريقة تدخل في خلق معنى النص. (المرجع نفسه،ص66 65)

بمعنى آخر يستخدم المتكلم والمؤلف، كعامل اتصال في إيصال المعنى إلى الجمهور، العلامات اللغوية المتبلورة في النص ولذلك فإن العبء الأساسي في إيصال الرسالة يقع على عاتق النص. كما أن الاقتراب من هدف التفسير واكتشاف قصد المؤلف يجب أن يتم أيضا من خلال ظهور معنى النص. ولذلك لا بد من إيصال المعنى المقصود للمؤلف من خلال التأثير على المظهر الدلالي للنص، وإلا فلن يؤخذ بها بعين الإعتبار.

وباعتبارنا نبحث في عرض نظرية التفسير عن "الاحتمال الدلالي الأكثر وضوحا" بين مجموعة المعاني المحتملة للنص وظهور معنى النص ليس في المعنى الجدي للمؤلف كعامل من بين عوامل أخرى، وإنما هو المعنى الأكثر وضوحا الذي سيكون هو الكاشف عن معنى المؤلف. وبناء على هذا التحليل، فإذا تطرقنا إلى إمكانية تأثير أشياء مثل السياق التاريخي والقرائن اللفظية المصاحبة للنص وفهم المعنى الجاد للمؤلف وما إلى ذلك، فسيتم النظر في كل منها إذا كان لها أثر في ظهور معنى النص. فمجرد الادعاء بحذف كلمة في موقف معين أو الادعاء بوحدة السياق لا يثير الإهتمام إلا إذا كان إلى الحد الذي يستنتج منه ظهور النص.

مما لا شك فيه أن دور النص لا يمكن إنكاره في جميع مدارس التفسير ولكن المهم هو كيف وعلى أية معايير أثر النص في عملية الفهم. في تقديم نظرية تفسيرية فعالة فيما يتعلق بالقرآن الكريم، من حيث المعايير النصية، لا يكون للمفسر والقارئ حرية التلاعب بالنص وفرض أغراضهما ومعانيهما عليه، بل يجب أن يوافقان أنفسهما مع المعاني الموجهة التي توجه مقصدها النصي.

إن تقديم معايير الكفاءة النصية لا يعني أن معنى النص هو نتيجة ظهور كلمات النص ولكنه يعني أن قصد النص يجب أن يعتبر شيئا خارج المستوى الظاهري والأفق الدلالي للنص. كما لا يقتصر على ما يريده المؤلف من النص لأن ظهور قصد النص يكون في الفرضيات التي لدى القارئ والمفسر حول معنى النص وبدون هذه الفرضيات لا يستطيع القارئ أن يتكلم حول قصد النص. إن قصد النص يعني إستهداف النتاج الفكري للقارئ بما يخمنه من معنى النص.(المرجع نفسه، 66،63).وعلى ما تقدم فإن تقييم ونقد نظريات الجابري التفسيرية في اتجاه معايير الكفاءة النصية هي كما يلي:

4-1. الإنسجام وعدم التعارض الدلالي

لقد قدم الله سبحانه وتعالى آيات القرآن الكريم بهدف إيصال رسالة واضحة وخالدة لجميع الأجيال البشرية على شكل معجزة كلامية. ونظرًا لعلم الله وحكمته التي لا بديل لها فمن المتوقع أن يكون لمثل هذا الخطاب إنسجام واستمرارية تختلف عن النصوص البشرية. والمقصود بانسجام الآيات واستمراريتها هو وجود نوع من الارتباط الدلالي بين أجزاء القرآن الكريم مما يحفظه من الانقطاع والتعارض والإرتباك في الهدف أو الموضوع. لأن اكتشاف الارتباط بين الآيات وارتباطها الدلالي ببعضها يساعد على فهم القرآن من ناحية ومن ناحية أخرى يكشف عن الوجه المنسجم لآيات القرآن الكريم مما يزيل الشبهة عند اولئك الذين يشككون في الوحدة والشمولية والترتيب المنطقي بين آيات القرآن الكريم. (سروش، ١٣٧٢،ص126،125 و165) ولذلك فإن إنسجام القرآن واستمراريته الداخلية ترسم آياته بطريقة منظمة ومترابطة. وبالنظر إلى العلاقات المختلفة بين الآيات تظهر الأسباب والمقاصد بشكل أفضل.(جلال الدين سيوطى، ١٣٨٠، ص16-27). إن وجود نوعا من الإنسجام والتناسب والاستمرارية بين آيات القرآن الكريم كان دائما محل اهتمام المفسرين وباحثي القرآن الكريم. فالقرآن عند الجابري ليس مجرد عدد من الصفحات المجمعة بين مجلدين، بل هو نص تشكل في عملية الخلق والتطور على مدى أكثر من عشرين عاما من بداية الوحي إلى يوم وفاة متلقيه ومبلغه رسول الله(ص). لقد فكر الجابري في تأليف كتاب عن فهم القرآن بناءً على هذا الموقف والفكر حول القرآن الكريم. ومن الفروق الأساسية بين كلام الله سبحانه وكلام الإنسان هو الإنسجام والتناسق والإستمرارية بين آيات القرآن الكريم. ويقول في هذا السياق: ينبغي أن تفهم السور المدنية على أساس السور المكية. كما يجب فهم أجزاء القرآن المكية والمدنية على أساس بعضها البعض وبحسب ترتيب النزول، وإلا فلن يمكن فهمها بشكل صحيح فإن آيات القرآن تتكلم مع بعضها البعض وتشهد لبعضها البعض. ولذلك فإن استخدام القواعد الأدبية المعتادة لا يكفي لاكتشاف معاني الآيات، بل يجب اعتبار جميع الآيات بالنسبة لبعضها والتدبر فيها بكل جدية. كما يقول الله تعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا)، (نساء 82) فهذه الآية تدل على الإنسجام والتناسب والاستمرارية بين آيات القرآن الكريم.(محمد حسين طباطبايي، ١٣٩٣،ج٣،ص76). إن آيات القرآن ثلاثة أنواع: الآيات التاريخية والآيات ما فوق التاريخ والآيات التي لها أبعاد تاريخية وما فوق تاريخية. وبحسب الجابري فإن طريقة فهم الآيات التاريخية هي نفس الطريقة التاريخية ومعرفة شروط النزول، ويؤكد أنه لفهم الآيات القرآنية التي تتسم بعنوان مافوق التاريخ يجب الإستعانة بأسلوب تفسير القرآن بالقرآن و أما بالنسبة للفئة الثالثة من الآيات فيجب إستعمال الأسلوبين مع بعضهما البعض لفهم هذه الآيات.(الجابري،١٣٨٧،ص11) ومع أن محمد عابد الجابري لم يحدد بشكل صريح ومباشر معايير كفاءة النظرية التفسيرية، إلا أنه يدرس انسجام وتماسك نص الآيات الإلهية من جوانب مختلفة مما يظهر صحة هذا المعيار باعتباره كفاءة في نظره. إن بعض الجوانب العديدة لمقياس الكفاءة من وجهة نظره هي:

الدعوة الجديد ونتيجة لذلك، تم تكراره للجماهير الجديدة وكان ذلك ضروريًا.(جابري،١٣٨٧، ص387-388)

ويعلق الجابري في ترجمة كتاب "مدخل القرآن" الذي ترجم بـعنوان "رهيافتي به قرآن كريم "، في مناقشة تفصيلية عن كون القرآن الكريم ذكراً أو حديثا ويكتب في نهاية هذا المبحث: "الذكر" و"القص" في القرآن الكريم إن كانت كلمات خاصة بالوعد والوعيد موجهة إلى المكيين أعداء دعوة رسول الله(ص)، وإن كان لهذه الكلمات معنى عام موجه إلى الماضي والحاضر والمستقبل وجميع الأمم، فهو موجه لقراء القرآن الكريم ليعرض الحجج على منكري الرسالة النبوية في جميع العصور والأزمنة.(الجابري،١٣٨٤، ص208) وبحسب دراسة الدعوة النبوية استنادا إلى ترتيب نزول السور في منهج الجابري ونظريته التفسيرية فإن عالمية الدعوة المحمدية وعمومية الرسالة واضحة ويمكن استخلاصها من الآيات والسور حيث تشير إلى وجهة نظره الكلية.

وقد جعل الجابرى أفكاره فعالة فى تفسير الآيات من خلال غرس واستخدام معايير النظرة الشمولية للنص القرآنى. وقد أدى ذلک فى نظرياته التفسيرية إلى تحرر القرآن الكريم من قيود كون القرآن الكريم هو مجرد كتاب تاريخى مرتبط بزمان ومكان وثقافة وأمة معينة. ومن حث فى فعالية نظرياته التفسيرية ومقبوليتها وديمومتها.

۴-۳. المستويات الدلالية المختلفة

إن إعتبار لغة القرآن لغة منطوقة تجعلنا نغفل عن بعض المعلومات المتعلقة بنص القرآن وبناء على ذلک فإن إهمال هذه المعلومات قد يجعل فهم كثير من آيات القرآن معقدا أو صعبا، أو يتبادر إلى الأذهان معنى مخالفا لإرادة الله أو يظهر تعارض بعض الآيات مع آيات أخرى. (نصر حامد، ١٩٩٩، ص٣۴-۵١) ومع ذلک، إذا اعتبرنا أن لغة القرآن هى لغة مكتوبة، فليس من الضرورى الرجوع إلى المعلومات الجانبية والخارجة عن السياق لفهم بعض الآيات الصعبة والمجملة والغير منسجمة وكذلک الآيات المتناقضة فى الظاهر لأن جميع الأدلة اللازمة لفهم القرآن الصحيح موجودة فى نصه والقرآن مستقل فى بيان مقاصده ولا يحتاج فى تبيين معناه لشئ خارج عن نصه.(بابک، احمدى،١٣٩۵،ص ۵٠٣ ؛ محمود راميار،١٣۶٢، ص٢۶١ ؛ محمدباقر حجتى،١٣۶٠، ص٣٨٢)

وفى شرح معانى عبارات وكلمات القرآن، يتطلع الجابرى إلى المستويات الدلالية المختلفة ويذكر أنه فى بعض الحالات، لا يتم الحصول على الحقيقة الدينية من ظاهر النص ويتطلب الوصول إلى المعنى الدينى تأويل النص. وهو لا يقصد بالتأويل الإبتعاد عن المعنى الباطنى وتجاوز الفضاء الذى نزل فيه القرآن، ولكنه يعتبر تأويل آيات القرآن أمرا عقلانيا تماما حيث يرتبط بالالتزام باللغة العربية. فعلى سبيل المثال يرى الجابرى فى تفسير الآية: «وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ»(الرحمن /۶) ويعتبر سجود النجوم بمثابة سيرها فى مداراتها وحركات الظواهر الطبيعية التى تسبب الحفاظ على نظام الكون وبقائه.. ورغم أن هذا المعنى يعبر عنه الجابرى باعتباره معنى باطنى لهذه الآية، إلا أنه رغم وجود تفسير عقلى فإنه يتوافق تماما مع ظاهر ألفاظ الآية وعباراتها.(الجابرى،١٣٨۴،ص١٧١) كما يستند إلى الآية: «فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا...»(اعراف/٢٠) فى بيان المستويات الدلالية المختلفة ويشرحها على النحو التالى: إن تعرى النبى آدم (ع) وحواء (ع) رمز للكشف عن طبيعة الإنسان المكونة من ثلاث ملكات: الشهوة والغضب والعقل. وإن إغواء الشيطان يعنى تغلب الشهوة على الملكات الأخرى. إن هذا الأسلوب القسرى فى الاستشهاد بالعقل فى تفسير

الآیة على المستویات الدلالیة المختلفة لآیات القرآن الکریم لم یکن فعالا ولم یتمکن من تفسیر المقصد الإلهی وإظهار تعالیمه جیداً وعلى أفضل وجه.

ویقول الجابری فی جزء من کتابه الذی هو مقدمة لکتاب" فهم القرآن الحکیم" فی موضوع بعنوان (النبوة والولایة: الظاهر والباطن) أننا عندما ننتقل من الخطابات السنیة والمعتزلة والأشاعرة والحنابلة حول إثبات النبوة إلى فلسفة النبوة والولایة کما یقترحها الشیعة والمتصوفة فإننا فی الحقیقة ننتقل من نظام معرفی وتعبیری یتفاعل مع ظاهر النص الدینی، أی القرآن والحدیث، إلى نظام معرفی باطنی، والذی یقوم على فکرة الفیض ونظریة النبوة فی فلسفة الفارابی ووفقا لهذا النظام المعرفی العرفانی فإن للقرآن جوانب ظاهریة وجوانب باطنیة. فظاهر القرآن وسیلة للوصول إلى باطنه. الظاهر للعامة والباطن للخاصة وبحسب الشیعة فإن الخاصة هم الأئمة الأطهار(ع) و بحسب المتصوفة هم الأولیاء و جمیع هذه المباحث تدخل فی إطار مصطلح "الولایة".

وعلى هذا الأساس فإن الجابری لا یتبع المنهج الباطنی والصوفی فی تفسیر القرآن الکریم وبشکل ما فضل التفسیر حسب الأحداث المتوافقة مع الظروف العربیة فی عصر نزول القرآن. فمثلاً فی تفسیر کلمة "القلم" فی سورة القلم یقول: لقد فسر بعض المفسرین کلمة "القلم" على أنها قلم خلقه الله تعالى وأمر أن یکتب به کل ما سیحدث حتى تقوم الساعة. وتجدر الإشارة أیضًا إلى أن الأحادیث التی لها نفس المعنى قد نسبت إلى النبی بصیغ مختلفة. ومن صور هذا الحدیث: لما خلق الله العقل، قال له: أعرض، فأعرض فوراً ، ثم قال له أدبر، فأدبر فوراً، فقال الله عزوجل: لم أخلق مخلوقاً أعلى منک منزلة." بک سآخذ شیئًا من عبادی وبک سأمنحهم شیئًا". وانتقل هذا المعنى إلى الطائفة الباطنیة واستعملت هذا المعنى بعض الطوائف الشیعة والباطنیة وخاصة الإسماعیلیة وکذلک الصوفیة الذین یدعون الفلسفة. وهؤلاء هم الذین اعتمدوا أفکارًا من الفلسفة الهرمسیة والغنوصیة القدیمة لتحقیق أهدافهم الدینیة والسیاسیة وکان الإیمان بالقدر على رأس هذه الأفکار. وبغض النظر عن هذه التأویلات التی لها لون عقائدی، فلا بد من القول أن معنى القلم فی هذه الآیة هو المعنى العام للقلم الذی یعرفه جمیع الناس. والقلم هو وسیلة الکتابة التی کانت معروفة عند الناس فی زمن النبی صلى الله علیه وآله وسلم.(الجابری،۱۳۸۷، ج۱ ،ص۲۶۴)

ولذلک فإن الجابری لا یقبل التأویل بالمعنى المتعارف علیه عند المفسرین الشیعة. وفی المجلد الثالث من کتاب تفسیره تحدث عن الفرق بین التفسیر والتأویل. فی البدایة، بحث عن معنى التفسیر فی المعاجم اللغویة وکتب أن التفسیر هو اکتشاف المقصود الإلهی من کلمة صعبة وغامضة، والتأویل هو رجحان أحد الاحتمالات التی تتوافق مع ظاهر النص. لکن فی المصطلح ،التفسیر هو الشریعة وهو خاص بالفقه و أما التأویل فهو المعتقد الذی یتناوله علم الکلام. (الجابری،۱۳۸۷، ج۳ ،ص ۱۷۶) ویقول أیضا، إن راغب الأصفهانی یرى التفسیر أعم من التأویل، فالتفسیر هو الأکثر استخداما فی التعبیر عن وضع الألفاظ والحقیقة والمجاز بینما یستخدم التأویل فی المعانی والجمل. وقال الثعلبی: إن التأویل هو تفسیر باطن اللفظ. وبعد هذه التفاسیر فإن الجابری یتبع منهج تفسیر وتأویل القرآن بالقرآن:«وَقَالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ کَذَٰلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَکَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِیلًا * وَلَا یَأْتُونَکَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاکَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِیرًا»((فرقان:۳۲-۳۳) وبحسب الجابری، فإن التفسیر فی هذه الآیة لیس مجرد التعبیر عن معنى الکلمة وکشف الغطاء عنها، بل یتجاوز ذلک إلى معرفة ترتیب القرآن الذی یتم الحصول علیه من السیاق. والقرآن یشهد على ذلک فی موضع آخر. والآیة التالیة هی

مثال على التأويل:« وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا»(اسراء:۳۵)(الجابری،۱۳۸۷، ج۲، ص۵۴۳) .لقد فسر الجابری فی هذه الآیهٔ کلمهٔ التأویل بحسن العاقبهٔ.« وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُون »(اعراف:۵۲).« هَلْ يَنْظُرُونَ إِلّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبّنَا بِالْحَقّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الّذِي كُنّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُون » (اعراف :۵۳).« أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»(یونس:۳۸)« بَلْ كَذّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذّبَ الّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظّالِمِين »(یونس:۳۹)« يَا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا»(نساء:۵۹) ومن خلال إعطاء أمثلهٔ من القرآن، یری الجابری أنه بحسب الآیات القرآنیهٔ فإن التأویل یعنی النهایهٔ والعاقبهٔ و فی الآیهٔ ۶ من سورهٔ، یوسف التأویل هو تفسیر الحلم والمنام: « وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبّكَ وَيُعَلّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنّ رَبّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ»(یوسف:۶)(الجابری،۱۳۸۷،ج۳،ص۱۸۴).

ویذکر الجابری مثل العلامهٔ أن لفظ التأویل کما فی هذه الآیهٔ: (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ..)(الاعراف،53 و آل عمران، 7 و یونس، 39) یستعمل فی معنی القرآن نفسه. (محمدحسین طباطبایی،۱۳۹۳، ج۳ ،ص۵۳-۵۴). وبحسبه فإن التأویل فی جمیع تطبیقاته القرآنیهٔ یعنی "الحقیقهٔ الملموسهٔ والخارجیهٔ" وهی مرجعیهٔ أمور مختلفهٔ مثل الأحلام(یوسف، الآیات ۶، ۲۱، ۳۶، ۳۷، ۴۴، ۴۵، ۱۰۰ و ۱۰۱) والأفعال (الکهف:۷۸،۸۲) ورد النزاع مع الله والرسول(نساء: ۵۹) وإیفاء الکیل(إسراء: ۳۵) والقرآن الکریم (سورهٔ الاعراف، ۵۳ ؛ یونس،۳۹ ؛ آل عمران۷).(المرجع نفسه، ص۲۴-۲۷).

۵.الإستنتاج

ومن أجل تقدیم استراتیجیهٔ فی کفاءهٔ النظریات التفسیریهٔ تم تقییم ونقد کفاءهٔ النظریهٔ التفسیریهٔ عند محمد عابد الجابری وفق المعاییر النصیهٔ. کما أن اهتمام الجابری بأولویهٔ فهم النص وتفسیره یتبعه تقییم ونقد لآرائه فی اتجاه المعاییر النصیهٔ، والتی تتضمن الإنسجام وعدم تضارب الآیات والنظرهٔ الشمولیهٔ والمستویات الدلالیهٔ المختلفهٔ. وفیما یلی ملخص النتائج التی توصلنا إلیها من خلال البحث علی النحو التالی:

۱. اعتبر الجابری الإنسجام والتتابع وعدم التناقض والتضارب من أساسیات النص الوحیانی وأثبت ذلک بحجج عدیدهٔ.

۲. إن الاهتمام بالنظرهٔ الشمولیهٔ فی النص القرآنی یعتبر استجابهٔ هذا النص الإلهی لحاجات الأفراد والمجتمع، وحداثته وسر خلوده وعالمیته. وهو مستمد من رؤیهٔ هذا النص الإلهی للمستقبل.

۳. إن الجابری لا یؤمن فی اختلاف مستویات وجوانب معانی القرآن الکریم بالمعنی المتعارف علیه عند مفسری الشیعهٔ، بل یؤمن بالتفسیر وفق الواقع ومنسجما مع سبب وظاهر الآیهٔ . وهو ما جرت به العادهٔ عند العرب فی زمن الوحی.

۴. إن اهتمام الجابری بالمعاییر النصیهٔ فی نظریاته التفسیریهٔ واضح تماما فی کتاب تفسیره " فهم القرآن الحکیم،" وهذا مؤشر علی کفاءهٔ نظریاته التفسیریهٔ من حیث المعاییر النصیهٔ وخاصهٔ المعیارین الأساسیین.

المراجع والمصادر :

1. **القرآن الكريم**
2. ابن بابویه، محمد بن علی(شیخ صدوق)، التوحید، قم، نشر اسلامی،بلا تاریخ، ۱۴۱۲ ق
3. احمدی ، بابک، ساختار و تأویل متن، طهران، مرکز، ۱۳۹۵ش
4. احمدی بیغش ،خدیجه ،ارزیابی نظریه تفسیری علامه طباطبایی ،در رویکرد ناظر به مولف بر اساس معیارهای کارآمدی ،السنة الخامسة،الرقم الاول ،الربیع والصیف ،۱۴۰۰
5. افشاری راد، مینو، علی اکبر آقابخشی (« :)۱۳۸۹فرهنگ علوم سیاسی»، طهران: چاپار. ۱۳۸۵ ش
6. ایازی؛ سید محمد علی، چهره پیوسته قرآن، طهرات، هست ی نما، ۱۳۸۰ ش
7. بدرالدین محمد بن عبدالله، زرکشی، البرهان فی علوم القرآن، تحقیق محمد ابوالفضل ابراهیم، بیروت، دار المعرف، بلا تاریخ، ۱۴۱۰ ق
8. بلاغی ، محمد جواد، ، آلاء الرحمان، قم، مؤسسه بعثت، ۱۴۲۰ ق
9. الجابری، محمد عابد ،ترجمه فهم قرآن حکیم، ترجمه محسن آرمین، طهران، نشر نی، ۱۳۸۷ ش
10. الجابری، محمد عابد ،رهیافتی به قرآن کریم، ترجمه محسن آرمین، طهران، نشر نی، ۱۳۸۴ ش
11. حجتی، محمدباقر، پژوهش درتاریخ قرآن کریم، طهران، فرهنگ اسلامی،۱۳۶۰ ش
12. حویزی، عبدعلی بن جمعه العروسی، تفسیر نور الثقلین، تصحیح و تعلیق سیدهاشم رسولی محلاتی، قم،مطبعی الحکمه، بی تا، ۱۴۱۵ ق
13. دوورژه ، موریس، روش های علوم اجتماعی، ترجمه خسرو اسلامی طهران، امیرکبیر ۱۳۶۲،
14. دهخدا، علی اکبر، لغت نامه دهخدا، طهران، دارنشر جامعة طهران، ۱۳۷۲ ش
15. رامیار، محمود ، تاریخ قرآن، طهران، امیر کبیر، ۱۳۶۲ ش
16. ربانی گلپایگانی، علی، جامعیت وکمال دین، طهران، دانش و اندیشه معاصر، ۱۳۷۹ ش
17. زرین کوب، عبدالحسین،آشنایی با نقد ادبی، طهران، دارنشر سخن، ۱۳۷۴
18. ساروخانی، باقر، روش های تحقیق در علوم اجتماعی، طهران، پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی، ۱۳۷۳ ش
19. سروش ، عبدالکریم، فربه تر از ایدئولوژی، طهران، مجله کیان، ۱۳۷۲ش، شماره۴
20. سیوطی ، جلال الدین، ، الاتقان فی علوم القرآن، بیروت، ناشر: دار الکتاب العربی، ۱۴۲۱ ق
21. شاله، فیلسین، شناخت روش علوم یا فلسفه علمی، ترجمه یحیی مهدوی، دانشگاه تهران،۱۳۴۴ش
22. الصغیر، محمد حسین علی، المستشرقون و الدراسات القرآنیه، بیروت، دار المورخ العربی، ۱۹۹۹ م
23. طباطبایی، محمد حسین، المیزان فی تفسیر القرآن، بیروت ، مؤسسة الأعلمی للمطبوعات ، ۱۳۹۳ ق
24. طبرسی، فضل بن حسن؛ تفسیر جوامع الجامع، قم، جماعة المدرسین فی الحوزة العلمیة بقم، مؤسسة النشر الإسلامی، ۱۴۲۸ ق

۲۵. عبدالله، جوادی آملی، قرآن در قرآن، قم، سپاه پاسداران انقلاب اسلامی، نمایندگی ولی فقیه، اداره آموزش‌های عقیدتی سیاسی، ۱۳۸۲ ش
۲۶. علی اصغر تجری، مبانی تفسیر القرآن و منهجه، (رساله جامعیۀ)
۲۷. فخرالدین، رازی محمد بن عمر ، مفاتیح الغیب(التفسیر الکبیر)، بیروت، مکتب تحقیق دار احیاء التراث العربی، ۱۴۲۰ ق
۲۸. کلینی، محمد بن یعقوب، اصول کافی، طهران، دارنشر اسوه، ۱۴۲۱ ق
۲۹. مقری بیهقی ،ابوجعفر احمد بن علی، تاج المصادر فی اللغه، تصحیح: هادی عالم‌زاده، طهران، موزه و مرکز اسناد مجلس شورای اسلامی،۱۳۶۶
۳۰. مهدوی راد، محمد علی؛ امیری، امیرعطاء الله؛ بهشتی، نرگس، «قصه‌های قرآن در نگاه محمد عابد الجابری »، آموزه‌های قرآنی، الرقم۱۵ .
۳۱. مودب، محمدرضا، مبانی تفسیر قرآن، قم، انتشارات دانشگاه قم، ۱۳۹۶ ش
۳۲. نصر حامد، ابو زید، التجدید و التحریم و التأویل، بیروت، المرکز الثقافی العربی، ۱۹۹۹م.
۳۳. نوری، سید محمدعلی، «شیوه‌های تاریخ پژوهشی محمد عابد الجابری»، سخن تاریخ، الرقم التاسع .
۳۴. هنری، دیوید، مفاهیم و روش‌های آینده‌پژوهی، ترجمه مسعود منزوی، طهران، مرکز آینده‌پژوهی علوم و فناوری‌های دفاعی،۱۳۹۰ ش
۳۵. Crosman.Do Readers Make Meaning? . Published in the Reader in the Text. P۱٤٤